الجو القيمي للتقدم العلمي والتكنولوجي

الدكتور صفوح الاخرس

ان البحث في الجو القيمي للتقدم العلمي والتكنولوجي متعدد الجوانب ، متشعب النواحي ، ومحاولة عزله عن محتواه البيئي والمادى تحرمه من عناصر الحياة ذاتها .

غير انه لا بد من عرض وجهة نظر حول ضرورة التركيز على هذا الجو القيمي الذي يؤثر باتجاهات متعددة **سلبا وايجابا** .

فهو اما ان يعمل على الحد من نمو العناصر الأساسية للتقدم العلمي والتكنولوجي او يعمل على تفتح براعمها لتؤتي أكلها وتحقق غاياتها :

فنجاح طليعة من العلماء في تكوين ظروف **موضوعية للتقدم** العلمي والتكنولوجي ، يرتبط بمدى انتظامهم بمؤسسات علمية تعمل في جو اجتماعي علمي . ان هذا الافتراض يمدنا بعناصر اساسية في التحليل تتمثل في شرح بعض الشروط الاجتماعية التي تعمل على تكوين الاساس الصحيح للتقدم العلمي والتكنولوجي .

وأهم تلك الشروط هي :

١ ـ القضاء على المعارف الشائعة في المجتمع ،

٢ ـ دفع الافراد الى المشاركة في النشاطات الحيوية بالقضاء على ظاهرة اللامبالاة والسلبية ،

٣ ـ زيادة فعاليات المؤسسات التعليمية والثقافية .

اولا ـ القضاء على المعارف الشائعة في المجتمع

ان انتشار المعارف الشائعة في المجتمع التي لا تستند الى أساس علمي يحدد كثيرا من فعالية العنصر البشرى في تكوين البيئة الأساسية للتقدم العلمي والتكنولوجي . ويبلغ هذا الحد درجة الخطورة عندما يشكل مع بعض العناصر الأخرى نظاما اجتماعيا متكاملا يسيطر على الافراد في سلوكهم المهني والاجتماعي ، ويصبح كلا لا يتجزأ من قيمهم الاجتماعية السائدة التي تلازم المجتمعات لفترة طويلة بالرغم من دخول عناصر جديدة في التقدم ، فقد يأخذ بعض الافراد بمعطيات التقدم التكنولوجي غير انهم بتأثير تلك القيم السائدة ، لا يملكون القدرة على تمثل هذه المعطيات التمثل الصحيح . فتصبح القيم الاجتماعية السائدة عقبة في تطبيق التكنولوجيا مع ان وسائلها باتت معروفة عند أولئك الافراد .

الدكتور محمد صفوح الأخرس خبير في المعهد العربي للتخطيط الاقتصادي والاجتماعي استاذ منتدب في جامعة الكويت

ولا سبيل الى تمثل هذه المعطيات الا بطرد تلك المعارف الشائعة ، وتكوين وعي علمي اجتماعي يحل محل القيم التي كانت سائدة في المجتمع . وفي المجتمع العربي ما زالت تنتشر بين قطاعات واسعة من افراد تعميمات شائعة لا تستند الى حقيقة علمية فتنعكس على سلوكهم وتحد من قدرتهم على الربط بين العلة والمعلول .

واذا ما اردنا ان نعدد الاقاويل الشائعة في مجتمعنا ، فسوف يأخذ ذلك منا وقتا غير قصير . على أن هذا الموضوع مهم للغاية والنفع فيه كبير لمن أراد ان يميز بين الاقاويل الشائعة والمعارف العلمية . وايراد بعض الامثلة من واقع مجتمعنا العربي يسهم في توضيح بعض الافكار السابقة .

فمن الاقوال الشائعة مثلا بين كثير من الناس في المجتمع ان حك كف اليد اليمنى ينبئ عن استلام المرء لمبلغ من المال ، كما أن حك الحاجب الايمن يدل على أن صديقا سوف يزور المنزل ، واذا ما قلم الانسان اظافره اثناء الليل فان أحلاما مرعبة سوف تزوره الخ .... (١)

هذه الاقاويل ، وما ماثلها ، تندرج في قائمة المعارف غير العلمية . **فهي ، اولا :** لم تأت نتيجة بحث علمي . ومتغيراتها ، في حديها (حك كف اليد اليمنى وقبض الدراهم) ، **غير مترابطة وغير متلازمة** ايضا . وبصورة أوضح ، انه لا يصاحب **كل** حك للكف او للحاجب ، قبض للدراهم او استقبال صديق . بل في كثير من الأحيان يتحقق الحد الأول دون تحقق الحد الثاني . وقد يتحقق الحد الثاني دون تحقق الحد الاول . فقد نقبض دراهم ويزورنا صديق دون ان نشعر بحك كف اليد أو الحاجب ، وبلغة البحث العلمي ، ان قاعدتي التلازم في الحضور وفي الغياب لا تتحققان في أطراف الاقوال السابقة ، أو " المعادلة " المطروحة .

ثانيا : ان معرفتنا لتلك العلاقات لم تأت بعد **استقراء لعديد من الحوادث على عديد من الافراد** . فمع ان معرفتنا لتلك " العلاقات " قد جاءت نتيجة **تصادف** (حك الحاجب) مع **بعض** الخبرات الاخرى (استقبال زائر) التي تعرض لها **بعض** الاشخاص فقط ، غير أننا لم نستقرئ تلازم الوجود مع تلازم الغياب على مجموعة كبيرة من الناس ، **فالانتقال من الجزء الى الكل هنا انتقال ناقص وغير عام** ، ولا يصح ان ننتقل من حوادث جزئية الى تعميمات كلية الا بعد ان نتأكد من صحة تمثيل العينات ،الجزئية الى مجموعة اوسع من السكان . وهناك اساليب معروفة لطرق اختيار العينات وكيفية التأكد من صحة تمثيلها لمجموع السكان يمكن الرجوع اليها في كتب الاحصاء الاجتماعي وحسبنا ان نقرر هنا ان حك اليد او الحاجب لدى **بعض الناس وفي بعض الاوقات** لا يمكننا من التعميم على الناس **كافة** وفي الاوقات **كلها** ، انه تعميم خاطئ وغير عملي .

ثالثا : ان التأكد من صحة " العلاقات " الشائعة لا يمكن ان يتم باتباع المنهج التجريبي او بتحكيم منطقة . فلا يمكن اعادة تكرار الحادثة او ضبط المتغيرات في اطراف العلاقة . فالحادثة هنا فردية ونتائجها خاصة ، بعكس القوانين العلمية التي تتميز بصفة الشمول والعموم .

أما المعارف العلمية **فهي تتجمع بعد بحوث علمية في ظواهر مادية محسوسة ونحتكم فيها الى المنطق والتجربة معا .**

ومع ان هذه المعارف العلمية قد تتبدل ويطرأ عليها بعض التغيرات الا انها تبقى ابدا حلقة من حلقات تطور العلوم واساسا في بنيانها . ومجموعة الحقائق التي يعتقد بصحتها في عصر من العصور وفي مجتمع من المجتمعات تشكل ما يسمى بالنظام (System) أو المنظومة العلمية (Scientific System) .

---

(١) انظر الملحق رقم (١) الذي يسرد بعض الاقاويل الشائعة في بعض الاقطار العربية، ونحن بصدد جمع المزيد منها وتصنيفها وتبويبها حسب مواضيعها.

اذن لا بد من ان نفرق ما بين مجموعة من المعارف المتفرقة التي لا يربطها رابط وظيفي أو منطقي ، وبين مجموعة من الحقائق ترتبط فيما بينها ترابطا يتمم فيه كل قسم القسم الاخر ، وتسهم كل مادة بشرح المادة التي تسبقها ، وتلقي الضوء على ما يعقبها . فالاجزاء في المنظومة العلمية مترابطة ترابطا عضويا يسهم فيها الاطار العام في فهم الجزء تماما كما تسهم دراسة الاجزاء في تحديد الاطار العام.

ومثل هذا الترابط العضوى والمنطقي والتطبيقي بين ميادين العلوم المختلفة لا نجده في زمرة الاقاويل الشائعة . فحادثة (حك كف اليد) لا تساعد على فهم ظاهرة (حك الحاجب) ، وهاتان الحادثتان لا تساعدان على فهم ظاهرتي (قبض الدراهم) و (زيارة الصديق) .

ثانيا ـ دفع الافراد الى المشاركة في النشاطات الحيوية بالقضاء على ظاهرة اللامبالاة والسلبية

تعتبر ظاهرة اللامبالاة من الظواهر الاجتماعية التي سادت معظم التجمعات البشرية عبر تاريخها الطويل ، وهي لا تزال تسود المجتمعات العصرية بنسب متفاوتة في القوة والعمق . وان تفاوت حدتها يرتبط بالظروف المرحلية السائدة في كل مجتمع من المجتمعات ، كما يرتبط بالعوامل التاريخية التي تمتد جذورها الى ماضى الامة وخصائصها الحضارية .

وقد انبرى لدراسة تلك الظاهرة ، كثير من علماء الاجتماع للتعرف الى اسبابها ، وبيان اثرها في تكوين صرح التقدم العلمي والتكنولوجي في المجتمع، وقليل منهم اصاب نجاحا في هذا المضمار ، وذلك لارتباط ظاهرة اللامبالاة بظواهر اخرى تتشابك معها ، فتطمس كثيرا من معالمها ، يضاف الى ذلك ان ظاهرة اللامبالاة ناجمة عن مجموعة من العوامل أو الاسباب التي تتفاوت من مجتمع لأخر ، مما يجعل اطلاق التعميم العلمي على كل المجتمعات ، امرا صعب التحقيق في هذه المرحلة من تطور العلوم الاجتماعية .

واننا سوف نحاول طرح بعض الخصائص العامة للامبالاة من ان يتبع ذلك خطوة أخرى في الربط بينها وبين عوامل تقدم المجتمع علميا وتكنولوجيا ، ربطا يعتمد على دراسات ميدانية تستلزم وقتا ارحب ومجالا اوسع .

معنى اللامبالاة

تتمثل اللامبالاة في قلة مشاركة الافراد في النشاطات الحيوية في حياة الجماهير ، وهذه النشاطات متعددة ، الا ان بعضها هوالذى يؤثر في عملية التغير الاجتماعي . واخطر انواع اللامبالاة على سير التقدم هو ذلك الذى يصيب تلك النشاطات الفعالة ، مما يؤدى بالمجتمع الى حالة من الخمول والتأخر .

ومن هنا نرى ان اللامبالاة هي حالة سلبية ، بالامكان قياس درجتها على سلم اجتماعي خاص ، يتدرج من حالة سلبية كلية تمثل درجة الانعدام في المشاركة والاهتمام بشؤون المجتمع وقضاياه ، الى حالات اخرى أقل شدة من الحالة السلبية الاولى .

وعلى الطرف الثاني من القياس ، يمكن ان نحدد حالات ايجابية في المشاركة تنعدم فيها اللامبالاة لتصبح مشاركة فعلية في امور المجتمع وقضاياه . وهذه الحالة الايجابية تشابه الحالة السلبية في امكانية القياس وتسلسل الدرجات .

خصائص اللامبالاة ومؤشراتها

ان نشاطات الانسان متعددة في حياته اليومية ، ولكن بعضها فقط هو الذي يؤثر في عملية التغير والتقدم الاجتماعيين . ولهذا فقد ربطنا في تعريفنا لظاهرة اللامبالاة بين عدم المشاركة ونوع النشاط . فاذا كان النشاط حيويا وهاما بالنسبة لعملية التغير الاجتماعي ، فان الابتعاد عنه أو المشاركة فيه ، يشكل حالة سلبية أو حالة ايجابية على التوالي .

ان كل الخصائص تترابط بعضها مع بعض ، لتكون في النهاية سلوكا موحدا نحكم به على فرد معين بانه سلبي أو ايجابي . فاذا استشرى هذا السلوك الفردى ليصبح سلوكا جماعيا ، فاننا نجد انفسنا وجها لوجه امام ظاهرة اللامبالاة .

المفهوم العملى لظاهرة اللامبالاة

ان الظواهر الاجتماعية غالبا ما يترابط بعضها مع بعض ترابطا عضويا ووظيفيا ، فتشكل منظومة اجتماعية تخدم وظائف عامة تخص المنظومة ، ووظائف خاصة تتصل بالظواهر نفسها ، وبناء على ذلك فان البنية الاجتماعية تشمل تركيبا لمجموعة من المنظومات أو النظم الاجتماعية ، يتداخل بعضها مع بعض ، محققة بمفردها وبتداخلها وظائف خاصة بكل مؤسسة ، وعامة بالنسبة للمؤسسات ككل .

فاذا كانت صفة الظواهر الاجتماعية في المجتمع ، على هذا النحو من التشابك والتداخل ، فان منطق التحليل يفرض علينا تحديد تلك العناصر وتجسيدها وعزلها حتى يمكن قياسها وتشخيص مسبباتها .

ومن خلال هذا التحديد لمفهوم اللامبالاة ، نكون قد ابتعدنا عن المفهوم التجريدى لها واقتربنا من المفهوم العلمي لهذه الظاهرة ، الذى يخضع للقياس بمؤشرات عملية نجمعها بما يلي :

اولا : المصلحة الطبقية :

ان اصحاب المصلحة الحقيقية في عملية التغيير ، هم الذين يتوقع منهم ان يشاركوا في دفع عملية التغيير الى الامام . فالطبقة البورجوازية في اوروبا شاركت بشكل فعال في هدم اسوار الاقطاع ، انطلاقا من مصلحتها في بناء اسس جديدة ترتكز عليها النهضة الصناعية الحديثة .

غير ان هذه المصالح سرعان ما تعارضت مع مصالح الجماهير العاملة ، التي باتت تعاني من استغلال الطبقة الصناعية ، وهي من اجل رفع كابوس الاستغلال عنها ، انتظمت في مؤسسات ونقابات تشارك من خلالها في تحقيق مكاسب جديدة للطبقة العاملة .

وعلى هذا فان الطبقة صاحبة المصلحة الحقيقة في التغير الاجتماعي ، هي التي تسهم في المشاركة الفعلية في الحياة العامة ، وتقوم بدور قيادى في عملية البناء الحضارى . فاذا زالت تلك المصلحة ، بعدت الجماهير عن المشاركة ، واتخذت موقفا سلبيا تجاه الاحداث .

ولعل اولى المواقف الايجابية المنتظرة منها ، هي مرحلة رفض الواقع ومن ثم اتخاذ موقف ايجابي لتغييره وخلق مناخ ملائم لنمو بذور التقدم والتطور .

ثانيا : الوعي القومي

ان ارتباط الافراد بوطنهم يدفعهم الى المشاركة في شؤونه من اجل بناء المجتمع وتطويره . وكلما ازداد الوعي القومي او الشعور بالانتماء الى الامة ليصل الى درجة يطغي فيها على الارتباطات والولاءات المحلية ، ازدادت المشاركة من قبل الافراد من أجل السير حثيثا في طريق التقدم الاجتماعي .

ومن الملاحظ ان ظاهرة اللامبالاة تشتد حدتها وتعظم آثارها في اغلب الدول النامية . وهذا يعود بشكل رئيسي الى ضعف ترابط مفاهيم ، مثل : " الدولة والمجتمع " " والفرد " ، اذ انها تشكل حلقات شبه منفصلة تعترضها ولاءات محلية فردية ضيقة . ففي المجتمعات القبلية الزراعية تبرز شعارات مثل " انا واحي على ابن عمي . وانا وابن عمي على الغريب " . ففي هذه الحالة تبقى المشاركة محدودة باطار ضيق لا تتعداه الى بقية افراد المجتمع ، بالاضافة الى عدم تفتح الوعي القومي وتفجره .

ان اللامبالاة هي لون من الوان السلبية في مرحلة عدم تفتح او نضوج الوعي القومي ومعرفة طريق التحرر .

ان الشعار السابق يتطور مع نمو الوعي القومي والشعور الوطني ، ليصبح الشعار التالي :

ان العمل لسعادة افراد الامة يجب ان يكون مهما ، كالعمل لسعادة افراد العائلة أو المجتمع المحلي

فمصلحة الفرد هي جزء من مصلحة المجتمع وتقدم المجتمع ينعكس على افراده .

ثالثا : الترسبات التاريخية :

في كل امة ترسبات تاريخية تعود الى الماضي السحيق ، تنتقل عبر الاجيال على شكل عادات وتقاليد وافكار قديمة . وبعض هذه الافكار هي نتيجة ترسبات لمراحل التخلف يلح عليها بعض الحكام ،(الذين يجدون في مشاركة الشعب في شؤون الدولة خطرا على وجودهم ولذلك لترسيخها في الاذهان) وتغذيها قوى استعمارية تبث روح الاستكانة والضعف بين افراد الامة، لتأمين مصالحها في ابعاد الشعب عن المشاركة الفعالة في اموره .

وفي هذه الظروف التي تمر بها الامة العربية ، يبرز دور الطليعة الواعية من افراد المجتمع على مسرح الاحداث ، لتعمل من خلال وعيها للواقع المتخلف ، على محاربة تلك التقاليد البائدة ، واحلال روح الايجابية والمشاركة مكان السلبية واللامبالاة ، وطرد الرواسب التاريخية المتمثلة في بعض الاقاويل الشائعة ، التي توحي بعدم التدخل في شؤون الامة خشية وقوع نتائج غير محمودة .. وهذا ما نلمسه تماما في حياتنا اليومية من خلال الاقاويل والامثال الشائعة التي تعود جذورها الى مراحل التخلف والاستعمار ، ومثالا على ذلك نذكر الامثال التالية :

" خير لا تعمل ، شر لا تلقى " ، " فخار يكسر بعضه " ، " ابعد عن الشر وغني له ". وعلى هذا يتردد كثيرا على الشفاه عبارات مثل :

" شو دخلك انت " و " ما دخلني انا " و " ما دخلنا نحن " .

رابعا : المؤسسات الاجتماعية والسياسية

ان تحديدنا لمفهوم اللامبالاة ، ارتبط بمدى مشاركة الافراد في عملية التغيير الاجتماعي . وعلى هذا فان دور المؤسسات الاجتماعية والسياسية يبرز بشكل واضح في افساح المجال امام الافراد لانجاز تلك العملية . وان اى غياب او قصور في عملية المؤسسة يؤدى بالضرورة ، الى ابعاد الافراد عن المشاركة الفعلية في قضايا الامة .

وتتفاوت حاجة المجتمعات الى ايجاد مثل هذه المؤسسات ، تبعا لظروفها التاريخة والمرحلية . فمن المعلوم ان مشاركة الافراد من خلال مؤسسات اجتماعية وسياسية ، لم تكن مطلوبة في عصور ما قبل الثورة الصناعية والثورة الفرنسية ، بل نلاحظ على العكس من انتشار مفاهيم سياسية عامة مثل ذلك : مفهوم " الحرية " ، " والديمقراطية " بمعناهما الواسعين المطلقين .

وهكذا كان (الملك) يستمد حقه في تقرير امور الدولة من الحق الالهي المقدس . ويسوى امور الدولة بقرارات يفرضها على الجميع . وما على الرعية الا الطاعة والتنفيذ ... كما ان اخلاق الرعية كانت تقاس بمدى طاعتها لاسيادها لا بمدى مشاركتها الفعالة في حياة المجتمع وتطوره .

ولكن بعد انتشار تعاليم الثورة الفرنسية واشتداد حركة الثورة الصناعية ، في اواسط القرن التاسع عشر ، برزت مفاهيم اخرى لم تكن موجودة من قبل .

ومن هذه المفاهيم : اللامبالاة " ،السلبية، والمشاركة ، الفعالية " ، " الديمقراطية " و " المجتمع " . وان انتشار مثل تلك المفاهيم كان تعبيرا عن ضرورة المشاركة الفعلية في شؤون الدولة والمجتمع . فالديمقراطية اصبحت تعني مشاركة الافراد في انتخاب ممثليهم في النظام الرأسمالي الصناعي ، انتخابا يشكل خطوة متقدمة عن معايير عدم المشاركة في عصور الاقطاع ، والملكية المستبدة ، بالرغم مما يحمى من قصور عن حقيقة الديمقراطية الصحيحة .

وكمرحلة متطورة ، برز مفهوم " الديمقراطية الشعبية " الذى يعني مشاركة الجماهير الواسعة مشاركة فعلية في عملية التقدم الاجتماعي ، من خلال مؤسسات يشرف على امور تنظيمها ممثلون حقيقيون لجماهير الشعب العاملة .

فالديمقراطية الشعبية اصبحت تمثل في رأى البعض ذروة مشاركة افراد المجتمع في تنفيذ اهداف الجماهير . وغيابها يعني غياب المشاركة وظهور حالة اللامبالاة .

خامسا : الارادة الواعية

ان المؤسسات السابقة تضعنا الان في مرحلة نهائية من التحليل . وهي تتمثل في ان صاحب المصلحة في عملية التغيير ، والذى يعي واقعه ، ويتحرر من سلبيات المرحلة التاريخية الماضية ، لا بد وان ينتهي الى مرحلة المشاركة الفعالة في ذروتها المتمثلة في الديمقراطية الشعبية . ولكن تمثل تلك العوامل ، لا يؤدى الى النهاية التي اشرنا اليها ، الا اذا توفرت الارادة الواعية والمسؤولة .

فهناك نفوس تريد الوصول الى ما تطمح اليه دون بذل اى جهد او القيام بأى عمل ولا يمكن للاهداف بان تبصر النور ، الا بوجود عمل واع ومشاركة فعالة .

ان العمل بطبيعته شاق ومتعب ، وبعض النفوس لا تملك القدرة على مجابهة المسؤوليات وتحمل المشاق ، فتظل بعيدة عن اهدافها سلبية في مشاركتها لا مبالية فيما يحدث حولها . وعندما تجابه هذه النفوس بعض الفشل فانها تلقي اللوم على القدر والظروف وتتخذ من القضايا العامة موقفا سلبيا يعكس طبيعة هذه النفوس .

وهكذا فان التواكل الناجم عن العجز عن مجابهة الواقع وتحدى ما فيه من مشقات وصعاب ، قد يؤديان الى مرحلة الاستكانة التي تدفع الى اليأس والهروب من الواقع . حيث يجد فيها اللامبالي راحة واستقرارا زائفين ، وتلك اقصى درجة سلبية من حالة اللامبالاة .

وخلاصة لما ذكر :

نستطيع ان نقول : ان اللامبالاة هي أدنى حالة سلبية للمشاركة في الامور العامة . وتتمثل في رغبة الفرد ان يدع الامور تسير كما هو محدد لها ولا شأن له في تسييرها ... تلك الرغبة التي تنجم عن مؤشرات ذكرناها فيما سبق .

وان علاج تلك الظاهرة يتم بالرجوع الى مسبباتها الحقيقية ، اى في خلق الظروف الموضوعية التي تدفع الافراد الى المشاركة في عملية التقدم الاجتماعي وتحقيق مصالح ومكاسب عديدة لهم من جراء التغير المتوقع ، متسلحين في ذلك بوعي اجتماعي قومي صحيح ، وارادة واعية حرة ومسؤولة ، تمارس فعاليتها من خلال مؤسسات اجتماعية وعلمية وسياسية .

وفي تلك الظروف يبرز دور الطليعة في انجاز اعمال ايجابية فعالة حيث تقع عليها مسؤولية اضافية في المشاركة في عملية التوعية وانارة الطريق امام الجماهير الواعية ، لتحقيق اهدافها ، وبما ان دورها طليعي ، فان الاضواء اكثر ما تكون مسلطة عليها ، وهي اكثر من غيرها مطالبة بالعمل والمشاركة الفعالة وهذا يعني :

أولا ـ ان تعي الطليعة دورها في المجتمع وعيا كاملا وصحيحا .

ثانيا ـ ان يكون لدورها صلة بنوع العمل الذى تمارسه .

وعندها تنقلب المشاركة الى طاقة تبني قواعد التقدم والازدهار .

ثالثا : زيادة فعاليات المؤسسات التعليمية والثقافية

ان زيادة فعاليات المؤسسات التعليمية والثقافية تؤثر الى حد كبير في تكوين الأساس الصحيح للتقدم العلمي والتكنولوجي .

واذا كانت طبيعة الانتاج ووسائله ، تحددان شكل المنظمات الثقافية ودورها ، الا ان فعالية ووظيفة تلك المؤسسات شيء آخر ... اذ انها تعتمد على فعالية الاعضاء المشتركين فيها ، ومدى ادراكهم لوعيهم الاجتماعي ودورهم في تحريك المجتمع . فالفاعلية " الوظيفية " هنا اذن غير " التركيب البنياني "

ان فعالية الاعضاء تتأكد الى حد بعيد بوعيهم وثقافتهم . ففي مضمار التدريس مثلا ، نرى ان ثقافة المدرس ووعيه ، تشكل اساسا هاما لنجاحه في مهنته ، وفي المهمة التي يحمل عبء القيام بها .

ان بناء الاساس العلمي للتقدم لا يمكن ادراكه الا اذ قامت المؤسسات الثقافية بدورها الكامل في نشر الوعي الاجتماعي بين أفراد الجماهير العاملة .

ان المشكلة الاساسية التي تواجه مجتمعنا في هذه المرحلة التاريخية من تطوره ، هي التناقض المخيف بين " المجتمع الجديد " الذى نسعى الى الوصول اليه ، والمؤسسات الثقافية التي تعمل على تحقيقه .

فالثقافة يجب ان تأخذ دورا ايجابيا في عملية التحويل الاجتماعي وخاصة في تنمية الوعي العلمي الاجتماعي عند الجماهير العاملة . ان ثقافة الجماهير ووعيهم شرطان هامان من اجل تحقيق المشاركة في ميدان العمل والانتاج . وعلى هذا الاساس فاننا نؤكد على ان الثقافة لا يمكن بحال من الاحوال ان تكون منفعلة فقط مع اطر المجتمع سلبية أمام ظواهره وقضاياه ، انها فاعلة ومنفعلة في آن واحد تؤثر وتتأثر بأطر المجتمع ومنظماته الانتاجية ، كما ان المؤسسات الثقافية ضرورة ملحة لتحريك المجتمع ودفع عجلة التقدم الى الامام ... انها اداة رئيسية في عملية طرد ما يشوب افكار العامة من خرافات وأساطير تعود الى عهود التخلف ... وهي ان كانت من مستلزمات عصور الانحطاط والاقطاع فانها لا تتماشى أبدا مع مرحلة التصنيع والتحويل الاجتماعي .

وتتمثل زيادة هذه الفعاليات في عناصر متعددة اهمها :

أ ـ طبيعة المناهج التعليمية

ب ـ دور المثقف في بث تلك المناهج .

أ ـ طبيعة المناهج التعليمية :

ان الظروف الموضوعية المحيطة بالثقافة والفكر الانساني بشكل عام لا تنحصر أهميتها في تركيب ووظائف المؤسسات الثقافية ومدى فعاليتها فحسب ، بل تتعداها الى تحديد عناصر المنهاج ونمط الدراسات في تلك المؤسسات .

ولقد تأثرت الدراسات والمقررات الدراسية في الوطن العربي ، بالتطورات التي أصابت نظم الانتاج وعلاقاته واشكال الملكية في المجالين الزراعي والصناعي . وقد ترك هذا التأثير لمسات واضحة على جوانب الحياة العامة ، وكان من الطبيعي ان يعطي ابعادا جديدة لمحتوى وشكل الفكر العربي بوجه عام ، وبرامج الدراسة والانظمة التعليمية والثقافية بشكل أخص .

ففي ميادين الدراسات الانسانية : نرى ان تدريس الفلسفة بشكلها المطلق ، قد تضاءل بشكل واضح في الاونة الاخيرة ، وظهر اتجاه نحو تدريس علم الاجتماع وتفهم الاسس الذى يرتكز عليها ، والتأكيد على مواضيع معينة من خلال دراسة معطياتها ورصد أبعادها ، في وقت تشتد فيه الحاجة الى ان يلم الفرد بكل هذه المواضيع . ومن تلك المواضيع نذكر تلك التي تهتم بدراسة مفاهيم الحرية والديمقراطية ، والعمل ،

وشخصية الفرد وتكوينه الاجتماعي ودوره في بناء المجتمع ... وهذا ما ينسجم مع الاهتمامات المتزايدة بأمور المجتمع وقضاياه ودراسة الامراض والآفات الاجتماعية التي ساهمت في تركها عهود التخلف ، بغية وضع الحلول المناسبة والناجحة التي تؤدى الى القضاء على هذه الامراض والوصول الى مجتمع سليم متقدم مزدهر .

ومن الواضح ان **الادب العربي** قد شهد تغيرا مماثلا في اطر ومناهج التدريس فعبرت التحولات الحادثة في التركيب الاجتماعي عن نفسها في نمط الدراسات الادبية المتطورة وفي اختيار النصوص الادبية المعالجة .

فمنذ اوائل الخمسينات وحتى منتصفها ، كان الادب العربي يدرس بحيث ان الجانب الفني في النصوص ، هو الذى يستأثر بالاهتمام الاكبر ، مع اغفال الجانب القومي والسياسي والاجتماعي في الادب ، ومع بداية التطورات الاجتماعية والاقتصادية والسياسة في أواخر الخمسينات ومطلع الستينات ، بدا الاهتمام واضحا بمعالجة المواضيع التي تشغل بال الانسان العربي وتسليط الاضواء على النواحي النفسية والاجتماعية فيه . فكان ان ظهرت الكتب والدراسات التي تنسجم مع الاتجاه العام لخط التطور ، ومع ما تتطلع اليه الجماهير العربية من آمال .

فبدات النصوص والنماذج الادبية من الشعر والنثر ، تعالج القضايا الاجتماعية والحياتية التي تحظى باهتمام الانسان العربي مثل : الفقر ، والتشرد ، والعدالة ، والاشتراكية ، والقيم ، والاخلاق ، والمراة ، والدعوة الى تحريرها وتعليمها ...

وبرزت سمات خاصة للأدب القومي ممثلا في الادب التحررى الذى تتناول معظم مواضيعه الدعوة الى محاربة الاستعمار واعوانه ، والتضامن ونبذ الطائفية واسباب التفرقة ، معيدا الى الاذهان الصور المشرقة من تاريخنا العربي بكل احداثه ومواقفه النضالية . هذا بالاضافة الى نزوح الأدب القومي الى القضايا المصيرية التي يعيش الانسان العربي احداثها ، موضحا ارتباط الوجود العربي ومصيره بوحدة اقطاره ، وتفاعل هذا المفهوم مع مفهوم التقدم والتحرر ، مؤكدا من خلال مواقفه ، ان المفهوم التقدمي للوحدة العربية هو من احد اسباب استمرارها .

ولم تقتصر ابعاد التطور على مجال الدراسات الانسانية فحسب ، فقد تعدتها الى مجالات **العلوم الاخرى** ، حيث ادخلت تغيرات كبيرة على المواضيع العلمية المتعددة التي تعالجها المناهج وذلك في مجال الرياضيات والعلوم والفيزياء والكيمياء والطبيعة بحيث اصبحت بعض ميادينها تساير التقدم العلمي وخاصة في مجال التطبيقات العلمية والتكنيكية .

أن التغير الاجتماعي قد أخذ ابعاده في كثير من المؤسسات الثقافية والفكرية ، الا ان جوانب متعددة من امور الثقافة بقيت متخلفة عن ركب التطور . ولقد كان لتخلف تلك الجوانب ، اثر بالغ في عرقلة تقدم المجتمع . اذ لا بد لمناهج التدريس والدراسات الثقافية والفكرية الاخرى ، ان تنطلق من اهداف الجماهير وتعالج القضايا المصيرية التي تواجه المجتمع ، وتهتم بالوسائل الضرورية لتقدمه . فالتطور الذى تسير به مناهج واطر التدريس . يجب ان ينسجم تماما مع معطيات الواقع الاجتماعي وظروفه ، والا حدثت هوة سحيقة بينهما تعكس التناقض بين بعض ملامح " المجتمع الجديد " واساليب التطور الفكرى القديمة .

ب ـ المثقف والتزامه :

ان المثقف ، بما يحمله من وجدان يرتبط بآمال الجماهير والامهم ، هو الذى تقع عليه مسؤولية تجاوز التخلف الذى يشوه معالم المجتمع الجديد . فهو من الطليعة ... والطليعة ملتزمة .. انها دائما في حركة وفعالية تبلور اهداف الجماهير وتعمل على تحقيقها ... ومن هنا تبرز الحقيقة الواضحة بان الالتزام ليس

بالضرورة مثقف ملتزم .

فلم يعد المثقف ذاك الذى يحمل شهادة عالية فقط . فقد بات المثقف الحقيقي من يتسلح بالثقافة والعلم والتحرر ، ويلم بألوان الحضارات المتنوعة ، ويتابع التطور العلمي والاجتماعي والاقتصادي ..... وهو الذى تحرر من الطابع المتخلف للقيم والتصورات والعادات ومن مظاهر السلبية والتواكل والوصولية ووضع ثقافته في خدمة المعارك المصيرية التي تخوضها الامة العربية .

ان اكثر صفة في المثقف الملتزم هو التزامه بقضايا الجماهير وتفاعله معها ، فالمثقف يجب ان لا يخشى اتهامه بالتحيز ، لأنه لا حياد في المواقف . وحتى الحياد نفسه فهو موقف ولكنه موقف اللامبالاة .

ان المثقف جزء من المجتمع وهو عضو من اعضائه ينتمي الى احدى فئاته وطبقاته ولذلك فانه لا بد ان يتأثر الى حد بعيد بمصالح الفئة التي ينتمي اليها . وبالتالي فهو يدافع عن مصالحها بالضرورة ويلتزم بأهدافها .

ونستطيع ان نقرر ان كل مثقف او متعلم هو متحيز ، شاء ذلك أم أبي ، وعي ذلك ام لا ... وهذا التحيز لصالح الجماهير ، يجب ان لا يفهم كمرادف للتفكير الذاتي في البحث العلمي .

ان الموضوعية في البحث العلمي شيء ... والتحيز لنتائج البحث العلمي شيء آخر . فنحن يجب ان نكون موضوعيين في بحوثنا وعلمانيين في اجتهاداتنا ، ملتزمين بالقضايا المصيرية التي تواجه تطورنا ....

وفي هذا تكمن أولى واجبات المثقف العربي وهو يخطو في مسعاه لتحرير أفراد الشعب المنتج من قيود التخلف والاستغلال .

ومن المهم ان نشير هنا الى ان الثقافة ليست شيئا مطلقا في اهميتها بالنسبة لعامة الشعب ، بل يمكن ان نميز ، بين انواع من الثقافات ، تتفاوت من حيث ارتباطها بمصالح الجماهير او بمصالح فئة ضيقة من افراد المجتمع . ولا شك ان افضل نوع من الثقافات هو الذى يلتصق بالجماهير وحياتها اليومية فتصبح الثقافة ملكا للمجتمع ومحركة له .

ولهذا فان الجماهير تطالب السلطة باستمرار ، باتباع سياسة تعليمية تنبع من مصالحهم وتمكنهم من تحقيق انسانيتهم .

ان ثقافة لا تنطلق من الجماهير وتنتهي بها ، ولا تلتزم باهدافها ومصالحها ، ولا تساير بمعطياتها التقدم الاجتماعي أو ترصد ابعاد التغير والتطور ، لم تكن في يوم من الايام ثقافة حقيقية بمعناها الواسع ، وانما تبقى متقوقعة في زوايا الانعزالية ، بعيدة عن واقع الجماهير وتطلعاتها .

ان المجتمع العربي ، وهو يعاني في تقدمه من بقايا التخلف التي تعود جذورها الى مراحل تاريخية معينة مرت بها الامة العربية ، هو بامس الحاجة الى علماء ومثقفين يعملون من خلال الكوادر الفنية والمؤسسات الثقافية العصرية ، على النهوض به ورفع مستواه الاقتصادى والاجتماعي ، وتفجير الطاقات المادية والتقنية الخلاقة فيه ، واستخدام الاساليب العلمية الحديثة في الاخذ بسبل التقدم .

ملحق رقم ١

بعض الأقاويل الشائعة المنتشرة في بعض الاقطار في المجتمع العربي

* يعلل طنين الاذن اليمنى بان هناك جماعه يمدحون الشخص أما اليسرى فتعني انهم يذمونه .
* نعيق البوم له فال سيء عند الناس ويقولون انه يبشر بالخراب كما يعتقدون ان الطير اذا طار ناحية اليمين فالحظ حسن واذا طار نحو الشمال فالحظ سيء وقد اعتمد العرب في الجاهلية على ذلك . " السوانح والبوارح " .. الطيره
* صراخ الطفل مدة طويلة في اليوم له فال سيء وضحكه له فال حسن وكثيرا ما تحدث هذه الاشياء عند الاطفال فيقول الناس " خذ فالهم من أطفالهم " .
* اذا سال دم الانسان بنفسه ، اى دون سبب خارجي منظور ، فيتوقع زوال همومه واتعابه وهناك المثل القائل " من سال دمه زال همه " .
* أول انسان يقابله الشخص في الطريق يحكم على نفسه بالتفاؤل أو التشاؤم حسب محبة الشخص أو كراهيته .
* هناك نجمة في السماء لها ذنب قصير ويحدد هذا الذنب بالنسبة للبلاد وله فال سيء على تلك البلاد .
* اجتماع الناس حول النار في الشتاء ، فاذا اصدر احد العيدان المشتعله لهبا قويا كان هناك جماعه يذكرون الشخص الذى أوقد النار .
* كسوف الشمس وخسوف القمر اذا كان لونه أسود فان الناس يتوقعون الحرب واذا كان له لون أبيض يقولون ان هناك شخصا له منصب كبير قد مات .
* ينصح الناس المرأة التي تلد ولا يعيش لها أطفال ، ان تلبس حجله صغيرة في رجلها اليمنى وان لا تخلعها مدى الحياة او يطلب منها ان تصطاد " بومة " أو طيرا مكروها وتضعه في وعاء وتغلق عليه بعد ذبحه وتحتفظ به .
* عندما يموت انسان ويذهبون لحفر القبر فاذا كانت الارض سهله وهينه في الحفر يتوقعون ان الشخص مؤمن وموته كان سهلا والعكس .

وقد يزرعون على قبره نوعا من الاشجار التي تتحمل الجفاف فاذا نما هذا الزرع كانت " حياته " في القبر حسنه .

* عندما يكون جماعه من الناس يأكلون ويدخل عليهم شخص فاذا كانوا في بداية الطعام يقولون له ان حماتك تحبك واذا جاء في النهاية فان حماته تكرهه .
* اذا صاح الديك قبل أوانه عند الصباح يكون هناك رجل متسلل أو لص .
* عند زواج الفتيات تشترى الاسره كيلو من الملح واذا حصل مكروه قبل نفاذ الملح يستدل ان الحياة الزوجية سوف تضطرب والعكس .
* اذا اشتدت الرياح فمن الشائع بأنه ستحدث حرب
* اذا كان المقص مفتوحا فمن الشائع بأنه سيحدث حتما شجار بين أفراد العائلة .
* اذا ولد طفل ومباشرة بكى ، فيخاف أفراد العائلة اذ يعتقدون بأنه ستصيب الأسرة فاجعة .

- اذا اقترب البوم من نافذة مستشفى . فيقول الجميع بأنه سيموت احد المرضى .
- اذا كسفت الشمس أو خسف القمر فهذا دليل موت عدد كبير من الناس .
- العروس يجب أن لا تزف الى زوجها ليلة الجمعة لأنه من الشائع بأنه ستعود الى بيت أهلها قريبا ولا توفق مع زوجها .
- واذا شبك شخص ما اصابعه بعضها مع بعض فانه سيشتبك الناس بعضهم مع البعض الآخر .
- واذا تعثر انسان ما وهو يأكل فهذا دليل بأن أحد أعدائه يتكلم عليه .
- اذا كثرت العصافير والطيور في مكان ما وكثرت زقزقتها فهذا معناه بأن العائلة ستصاب بخير كثير وسيكون هناك عرس أو فرح .
- اذا شعرت فتاة ما بارتياح في قلبها فيقال بأنه سيأتي فارس أحلامها ليخطبها .
- يوم الخميس فصل لعدوك قميص .
- اذا مسحت القطة وجهها ونظفته يقال ان ضيفا سيحل على المكان .
- اذا رأى احد دجاجة أو حمامة باشرة جناحيها وجالسة فانه يعتقد ان احد سيزوره أو ان قريبا له سيأتي من السفر أو ان مكتوبا سيصل اليه .
- اذا رف جفن العين بأستمرار فان الشخص يعتقد ان شيئا سيئا سيحدث ، بذلك يسارع المصاب بوضع قطعة خشبة صغيرة على جفنه لكي يتحاش بها السوء .
- ان الزوج في ليلة زواجه يضرب زوجته ضربا مبرحا وهي لا تتكلم وهذا دليل على انها ستطيعه طول حياتها معه .
- هناك ايضا معرفة شائعة تقول ان رمي الاظافر في البيت يجلب لأهله الفقر .
- اذا حس احد بحك في كفه يفسر ذلك بأنه سيقبض دراهم .
- قالوا : اسأل مجرب ولا تسأل حكيم : الاعتماد على تجارب الاخرين للتخلص من الالام والشفاء من الامراض .
- اخراج الأواني النحاسية من المنزل بعد العشاء وموت شخص من المنزل .
- كثرة النمل في المنزل وسفر أحد أفراد المنزل .
- كثرة الضحك واستمراره فترة طويلة وتوقع حدوث شر ومشاجرة والله يعطينا خير الضحكات .
- الاصابة بالعين وفقدان النعمة . فاعجاب الناس بصحة شخص أو جماله أو ماله واظهار الاخرين اعجابهم به يذهب المال ويفقد الانسان صحته وجماله .
- تفسير الاحلام والتشاؤم منها .
- قلع الضرس في المنام وحدوث الم معناها وفاة شخص قريب والحزن عليه .
- رؤية نهر جار في المنام معناها وصول رزقه واذا انقطعت مياه النهر معناه انقطاع الرزق .
- انجاب صبي في المنام معناه مصيبة قد تقع . اما البنت فمعناه توقع حدوث الخير " الصبي مصيبة والبنت دنيا " .
- رقم ١٣ تشاؤم وتعاسة . وكذلك التشاؤم من يوم الاربعاء .
- رؤية القط الاسود في الليل تشاؤم .
- ركوب حذاء على حذاء للتنبأ بالسفر .
- قرقعة الاصابع توجب الفقر .
- قلع السن في المنام ، دون حدوث الم معناه وفاة شخص بعيد دون الحزن عليه .
- السفر صباح الجمعه ، وتنظيف البيت قبل ظهر الجمعه جالب للشر .
- وجوب كشف الرأس وعدم تغطيته في بعض الحالات .

- زيارة المريض مساء الثلاثاء غير مستحبه .
- زقزقة العصافير في البيت ستدعى زيارة احد الغائبين ورؤيته .
- زرقة العين علامة على خبائة صاحبها .
- شرب اللبن مع أكلة السمك غير مستحب
- الصفير في الليل يجمع الجن .
- غرز سكين فوق رأس المغمى عليه من الصرع ـ يطرد الارواح الشريره .
- رش حب السمسم الاسود بين المواد ـ لزيادة بركتها .
- زحف الطفل القادر على السير ـ يبشر بقدوم زوار .
- شعل لفافة السيكاره (التبغ) من طرف واحد يعنى (العشق) .
- ورش الماء البارد يعني الفراق .
- ان القبله من العين تعني الفراق .
- اذا نبت السنان الاماميان للطفل (أولا) قال سي' لوالده .
- غسيل يوم السبت ، " الغسيل ما بينقى وصاحبه ما بيبقى " .
- اذا حدثت زيارة المريض يوم الاربعاء يقال انه سوف يموت .
- اذا أردت ضيفك أن يذهب تضع المقشة على القلبة وتشكل فيها دبوس .
- اذا أردت ان يكون في المنزل تشويش واصطدام فاقلب النعل على قفاه .
- العريس ليلة العرس يدخل منزله على قفاه (السبب حتى لا تطلق العروس) .
- اذا الفتاة كانت تنخطب يأخذون من أثرها بعض الشي' ويرمونه في البحر فعندها تنخطب .
- اذا واحد ضاع له حاجة يشرب شربه فيلاقيها .
- تفصيل يوم الثلاثاء وراثة .
- اذا شخط نجم فيقولون ان شخصا قد توفى .
- اذا برز الطير وهو طائر على انسان يقولون أنه سوف يرزق .
- الذى ينام عطشان يستيقيظ وبجسمه حزازه (عطاشة) .
- الذي ينهق يقولون بأنه سارق .
- الذى ترف عينه اليسار سوف يبكى لاستقبال والذى ترف عينه اليمين فسوف يبكى لوداع .
- ان وضع حبة فول بين النقود أو في المحفظة يزيد منها النقود .
- وضع الخبز تحت وسادة الحالم ليشفى من الاحلام فلا تعود اليه .